«خذنى إلى هناك . . »

خلال السنوات العشرين الأخيرة انقطعت صلته بميدان العتبة الخضراء، يعبره بالسيارة فوق الكبرى الممتد بطول شارع الأزهر، لكنه لا يمشى عبره كما اعتاد فى الستينيات والسبعينيات من القرن الماضى، خاصة عند تردده على المسرح القومى، كان الميدان نقلة ناعمة مدثرة بالحنين بين القاهرة القديمة، والقاهرة الأوروبية التى تشبه فى تخطيط شوارعها وميادينها ومبانيها مدينة باريس. كانت له مراكز يعتاد التوقف عندها، دكان خرالمبو اليونانى، يقدم المشروبات بالصودا، أما نيلسون المجاور فتفوح منه رائحة المكرونة المحشوة باللحم المفروم، والشيكولاتة المستخدمة فى الحلوى.

تتدهور الأماكن وتشيخ مثل البشر، هكذا تزايدت الحركة وتوافد الباعة، وظهرت البضائع المهربة، واختلطت الملابس التايوانية بالسلاحف السودانية والعصافير البرية وأنواع الحبوب الغامضة، لسبب ما أصبح يخشى المشى عبره، يتفاداه قدر الإمكان والآن يجب أن يصحبها إلى درب البرابرة، أى يجب اجتياز ميدان العتبة إلى بداية شارع الجيش، منطقة مضطربة، مزدحمة، فيها ضياع يمقته، لكن طلبها لا يرد، جرى لها أمر بمجرد سماعها تخصص السوق فى معدات الأفراح . . خاصة أوعية الحلوى التذكارية «البونبيرات» التى تقدم للضيوف، قبل الموعد الذى حددته بيوم مضى إلى هناك ليعاين المكان، وليستعيد خبرته به، وليتعرف عليه حتى لا يبدو جاهلاً بدروبه، ومتاجره، وناسه، ومقاهيه.

لن ينسى أبدًا انفراج ملامحها عندما خطت عبر الدرب الضيق